قصة مصرية

مدينة الاحلام

الدكتور ناجي

— ١ —

في صباح يوم من ايام الشتاء كانت حارة علام بقرب شارع محمد علي قذرة متراكمة الاوحال وكان البقال عبد الدايم يفتح حانوته وبائعة اللبن تقرع باب المنزل المجاور . ومرت بضع عربات كارو . واخذ صاحب القهوة البلدي المواجهة للمنزل يصف كراسيه وموائده ويشعل سعالاً جافاً . وتبادل البقال عبد الدايم والمعلم سلام صاحب القهوة التحيات المعتادة وظلت بائعة اللبن تقرع الباب على غير فائدة . فصاح بها البقال «الجماعة عزلوا» فتحركت ورقة «للايجار» المعلقة بالشرفة كأنما تثبت وجودها وتؤكد كلام عبد الدايم

ثم زادت الحركة بالحارة ونزل الصبية يجمعون من الوحل ميداناً ومن البرك ملاعب يسبحون فيها وجاء الباعة ينادون على بضاعتهم وجلس بعض النسوة على جانبي الطريق يعنن طعامهن القذر . ويجمعن الذباب ويلثرن الاوبئة . واخيراً تمت صورة كاملة من صور تلك الحواري البائسة المنسية وكانت الشمس لم تبدد تماماً الضباب المخيم على ذلك الحي فكان الجو صافياً من ناحية وغائماً من ناحية اخرى ومهدداً بمطر جديد تعلو به الاوحال وتتسع البرك

وماذا يهم ذلك اوحال او برك وغيم او صفاء وضنك مخيم او عدل شامل اذا طلع الصباح فتح عبد الدائم حانوته والمعلم سلام قهوته وجلست ام آمنه بائعة البرتقال بمشتها فاذا انصرم النهار آبوا جميعاً الى مساكنهم المريعة ليعودوا في اليوم التالي وتجري الحياة مجراها في الرزق الضيق والبلاء الواسع

كان المعلم سلام يصيح بصبيه غاضباً ويلعن اليوم الذي جاء فيه الى القهوة ثم يتبع ذلك بسعاله الجاف والبقال عبد الدايم يزن رطلاً من العابرين ويحلف انه لا يوجد ادق من ميزانه ولا احسن من ذمته وكان الذباب يحتفل على مشنة ام آمنه فاذا دفعته قائلة «هش» جمع جموعه وعاد يغطي البرتقال الصغير الجاف المنقوط . كان يحدث هذا في حارة علام لما اقبلت عربة كارو تحمل امتعة ووقفت امام المنزل الخالي . فترك البقال الميزان وترك المعلم سلام صبيه وترك الذباب مشنة ام آمنه وانضم اليه بعض الصبية ومضوا في موكب ليروا من الساكن الجديد وليظروا نظرة تقديرية الى الامتعة من صحاير وحلل وكنبات وكراسي ودواليب

وفي الحق لم تكن تلك الامتعة دالة على الفاقة بل دالة بشكلها وصبغتها الحائلة على عز قديم وفقر جديد

وكان يرافق العربة شاب على دراجة وكنت ترى على بذلته وحذائه طابع الفقر ولكنك كنت تلمح في الياقة النظيفة والقميص الابيض وفي وضع الطربوش ورباط الرقبة ومن الاصل السليم وتؤمن بذلك وهو ينزل عن دراجته ويمشي الى الباب ليفتحه

لقد كان يمشي مشية الامير المخدوع وينظر الى الحي الفقير نظرة طويلة مستسامة

صعد امين سليم سلم الدرج الخشبي في المنزل المكون من طابقين كلاهما خالٍ ولكنهُ اختار اعلاها ونادى على الحوذي ان يحمل الامتعة ويضعها في ردهة الطابق الارضي فاستعان الرجل بزميله واخذوا يرا كمونها . فلما انتهوا من عملهم اخذ امين يبحث في جيوبه عن الاجر — والرجل ينظر اليهِ نظرة النسر يريد ان ينقضَّ ويعد نفسه للعراك ويتحفَّز لهُ

لقد كان الرجل متفقاً على اجر معلوم . ومع ذلك فهو من تلك الثلة السافلة المجرمة التي تضطرها الفاقة ان لا تحافظ على قول ولا تبقي على ميثاق . ومع ذلك فهي فئة تأمرها الضحكة الطيبة والكلمة الرقيقة وفيها كثير من الخلال الكريمة والنخوة والاريحية . وكان امين ذكيًّا يفهم ذلك اتم الفهم . فبسط اليه ضاحكاً محكته الوديعة ، كل « الفكه » التي في جيبه قائلاً « اللي انت حاوزه خده » فخجل الرجل النسر وتدلى منقاره في ذلة وتوارت شراسته واكتفى بأجر يزيد زيادة معقولة واخذه والصرف . وبعد قليل جاءت عربة تحمل سيداً وسيدة وخادماً . وكان السيد شيخاً قارب السبعين ، يحمل وقار مجد سالف فوق وقار السنين ، فوق وقار الصبر الذي ارتسم في تجاعيد وجهه ، وكانت السيدة اقل منه سنًّا ، لا تزال تحتفظ بالبرقع الابيض ، وبقية من جمال ذاهب وبقية من كبرياء اناخت عليها السنون

اسرع الخادم وقرع الباب لهم ووقف امين على عتبته مرحِّباً . وساعد الوالد والوالدة على النزول من العربة . فلما دخلوا المنزل ، وصعدوا الدرجة الخشبية اوشكت الشقاء ان تحتج ، ووقفت الدموع المكظومة على طرف المحاجر ذاهلة ، ثلاث غرف صغيرة واخرى في السطح ، ونوافذ بالية قديمة تطل على نوافذ مجاورة منغمسة في الذل والظلمة ، وتموج سطوحها بالنسوة هذه تنشر غسيلها ، وتلك تخاصم جارتها وتنشر لها ماضيها القذر

ولكن القلوب النبيلة شبيهة بأشعة الشمس فهي تنزل بالروضة الجميلة ، كما تحل بالارض الموحلة لا تتغير ولا تكون غير اشعة الشمس . ولكن الغمامة التي مرت على تلك القلوب الكريمة لم تلبث ان تبددت وعادت الاشعة الى الاشراق ، واخذ الجميع يتعاونون على تنظيف المنزل وترتيب الاثاث واختص امين نفسه بغرفة السطح فنقل اليها كتبه وسريره وادواته القليلة

* * *

بعد اسبوع جاء مستأجرون للطابق الارضي ، فوقفت عربة كارو تحمل امتعتهم ، وتلتها

عربة تحمل افراد العائلة ، وهم سيدة كهلة وفتاة رائعة الجمال وخادمة

كانت الساعة الخامسة مساء حين عاد امين متعباً يحمل كتبه ويحمل فوق منكبيه عبء رحلة مبكرة ولم يكن قد علم بعد بالجيران الجدد فلم يكد يصعد الدرج حتى خرجت الفتاة لترى القادم فصعدا في وقت واحد

— سنيه — امين

ولولا ان اطلت رؤوس الوالدين وهي تنظر بعيون مذهولة الى هذا التعارف الفجائي رأينا عناق الشوق المكظوم واللهفة المستترة اعواماً لا لحظة

— ٢ —

منذ عشرين سنة كانت شبرا الجميلة كالزمردة الصافية ، تزهو باليانع الاخضر ، والبساط الرائع الذي هو سحر مصر ، وفتنتها العتيدة التي جرت اليها الغزاة والابطال متنوعين اجناساً وحللاً . نعم شبرا الجميلة ، التي اكتظت اليوم بالمساكن المتلاصقة والفصلتها المدنية الجديدة ، ونزح اليها خلق كثيرون اشتروا تلك المروج البديعة وابتنوا بها مساكنهم الصغيرة المتقاربة ، كانت بساطاً واحداً قامت في وسطه هنا وهناك منازل اهلينا ، كهامات بيضاء بسطت اجنحتها ، وهمت ان تطير الى ساقية او قناة او غدير ، وكنا نعود من مدارسنا في غروب الشمس ، فنترك كراساتنا وكتبنا في بيوتنا ثم نسرع الى تلك المهاد حيث ربا صبانا وتعامع الغصون النامية ، وحيث تنسمنا الريح الرقيقة ، تجرى الشعر في دمنا ، والحب في ارواحنا ، والصفاء في طبائعنا ، ايام كنا نثب فراشات مع الفراشات الهاربة واشعة مع الاشعة الغاربة ، وما نزال كذلك حتى تخور قوانا فنرجع لنذاكر او ندعي اننا نذاكر ، فاذا كانت ليالي القمر تسلمنا خلسة لنرى القمر يطلع على الحقول الساكنة والسواقي الحالمة . فنجلس عند الشجرة فاذا الشجرة تصغي والليل الجميل يرهف اذنهُ الى حديث اطفال يتبدد موجات في بحر ذلك السحر الرهيب سحر القمر والطفولة والمروج

في ليلة من ليالي رمضان التي صديقنا امين سليم ورفقائه تحت شجرة الجميز الكبيرة القريبة من الساقية وجلسوا يتنادرون وحديث الصبية لا يعدو المدرسة والمدرسين والامتحان فاذا خرج عن هاتهِ الدائرة فبعض المبالغة والادعاء والفخر والتشبه بالرجال واحياناً يكون سكون الليل وجمال القمر مغرياً باعترافات يتبادلونها همساً شأن الكبار . في الليلة التي نحن بصددها كان اكبرهم سناً يسخر من امين ويقول « بالكم امين ده اللي انتو شايفينه ساكت ده كل يوم وهو راجع من المدرسة يشتغل خدام لستيه بنت شكري بك ويشيل لها الكتب بتاعتها » فضحكوا كلهم وصاحوا « حقيقي » فخجل ولم يجب وكان صمتهُ اعترافاً على ان الصبي كان في هذا القمر الناضر جاداً غير عابث وقد حزن لذيوع سره وجعلهِ موضوع دعابة ولبث واجماً حتى انصرفوا كل الى منزلهِ

قبل هذه الليلة بشهرين وقفت العصبية الجميلة سنية امام باب المدرسة تنتظر الخادم . وكان يبدو في وجهها الناحل سحر وخيال وابهام كل ذلك في سمرة كسمرة الفجر وحمرة على الخدين كحمرة الشفق حمرة تزداد وضوحاً كلما لحظتها أعين العصبية الواقفين عمداً او عن غير عمد ويزيدها حلاوة وغرابة مريلة المدرسة الزرقاء والقبعة الناظيفة السليمة الذوق ينساب من خلفها ضفيرتان من الشعر الاسود الحالك . وفي نفس الوقت خرج امين سليم من مدرسته في نفس الشارع ووقف أمام باب المدرسة ينتظر الخادم . طال انتظارها لخادمها وطال انتظاره لخادمه فلم يأت هذا ولا ذاك فضجرت وضجر واعتزمت ان تعود وحدها على غير عادة واعتزم كذلك ومشت الفتاة لا تلتفت يمنة ولا يسرة وتعمل بنصيحة امها « ما تكلميش حد »

وترك الفتى باب مدرسته مهرولاً وكان يرتدي بدلة جميلة غالية الثمن ولكنه كان يبدو عليه الاهمال في ملبسه والتفكير في وجهه العصبي النحيل وكان الطريق الى المنزل يعترضه «مزلقان» وطالما راح القطار وجاء في «مناورة» ثقيلة وربما كنت مسرعاً الى موعد أو مدرسة فوجدت سلم « المزلقان » ينزل في سرعة ويحول دون مرورك ويبدأ القطار الثقيل في التدو والرواح

ففي هذا اليوم كان الشارع مزدحماً بالباعة والعربات الكبيرة التي تحمل الحجارة والمزلقان قد نزل سلمه والقطار العجيب يروح ويغدو

وفي الساعة التي اختارها القدر وقفت سنيه امام المزلقان ووقف امين وجاء غلام يدفع عربة يد فمست يد سنيه فسقطت كتبها فتناولها امين ولم يعطها اياها بل وضعها الحبيث ساكناً في محفظته فعلت خدها حمرة الشفق وطفت على الخدود المألوفة واطرقت لا تدري ماذا تصنع بعد ذلك رفع سلم المزلقان واخذ الناس يتدفقون ويتزاحمون بالمناكب فتأد العصبي والصبية ثم جمعهما القدر في سبيل واحد وسارا صامتين زمناً لا حساب له حتى وقفت خجلة فادرك انه قد آن ان يفترقا فاخرج لها كتبها ثم عز عليه ان تمضي بدون ان يتعارفا فسأل

— اسمك ايه — سنيه شكري

— وانا امين سليم — في سنة ايه

— سنة رابعه — وانا كمان

— ساكنه فين — في شبرا شارع . . . . . .

قريب منا ياريتك تجي مرة في القمر نقعد تحت شجرة الجميز قرب الساقية . . .

ولاح خيال خادمه من ناحية وخادمها من الناحية المقابلة فصمتا وابتعد وابتعدت . . . . .

وصار يراها كل يوم فيتبادلان التحية بالنظر ويتمنيان لو ان الخادمين مرضا او غابا او اصابهما حادث

ثم انقطعت عن المجيء وصار الطريق مقفراً لا يطاق ومضى في ضوء القمر الى الشجرة التي تمنى ان يراها عندها مضى مراراً والحنين اليها يتسع في قلبه حتى صار ناراً آكلة . . . . .

وذات ليلة ذهب في سرب من رفقائهِ الى حيثُ يتلاقون فرَّ بسرب من الفتيات يتحادثن عند باب منزل فطرق اذنهُ صوت يعرفهُ فتخلف عن اصحابهِ ووقف في ناحية يسترق السمع فسمع سليم تقول (وكانت هي) همساً لصاحبة لها :—نعم النقط كتبي ووضعها في محفظتهِ وتمنى ان يلاقيني في ضوء القمر تحت شجرة الجميز عند الساقية . انهُ غير جميل ولكنهُ رقيق ومن عائلة كبيرة . . . . . على انهُ قد نسيني بالطبع . . . . . .

خفق قلبهُ وانكمش في الظلمة الكثيفة . . واجابت دمعة حارة ان هذا غير صحيح

ثم سمع خطاها تبتعد وهو في الظلمة جامد في مكانهِ ثم ابتعدت خطاها عنهُ في الحياة .

واقبل الفقر يطحنهما متفرقين حتى التقيا في المنزل الحقير بحارة علام

— ٣ —

كان الليل هادئاً والقمر في السحب الصافية يلوح جليلاً في غربتهِ رائعاً في حيرتهِ يبدو من خلال سحابةٍ ثم يستتر وراء اخرى وكان ينظر الى الدنيا بعين ملولة ويرى ان اهلها لا يستحقون ما يغدق عليهم من النور القدسي الجميل اذ بينما يشمتهُ عليهم من وجدانهِ وقلبهِ يغط بعضهم في النوم وبعضهم لا يفهمون انهُ يعلمهم السمو والنبل فيمضون الى اتيان لذة محرمة او منكر لايليق . نعم كان القمر في تلك الليلة يمتعض ان لايطلع على الدنيا واستتر وطال استتاره لولا ان اليد الخفية الجبارة دفعتهُ من وراء السحاب فطلع كارهاً وغمر نوره القاهرة وفاض على اعالي القصور كما فاض على السطوح الفقيرة في حارة علام — في تلك اللحظة فتح امين سليم النافذة وتنفس تنفساً طويلاً ونظر الى القمر نظرة مبهمة ثم عاد الى النافذة فاغلقها في ضجر وملال واستوى امام مائدتهِ وجعل مصباحهُ قريباً من يسارهِ وفتح كتاباً ثم اغلقهُ واجال بصرهُ في الغرفة الفقيرة الاثاث . فهذا سريره الذي ينام عليهِ منذ عشر سنوات . تتككت اعمدتهُ وطالما اصلحها فعادت كما هي قلَّ اصلاحها ورضي بصريرها المزعج كلما حدثتهُ نفسهُ ان يستريح على فراشهِ وهذا هو الكرسي الطويل بجانب السرير وطالما اكتفى بالنوم عليهِ وتلك هي السجادة الوحيدة الباقية من فرش القصر الكبير وهذا هو رف الكتب قطعه عادية من الخشب مفروشة بالورق الملون المقصوص وذلك هو مصباحهُ الباهت النور مصباحه الثقيل الذي ينخفض نوره من تفسهِ ويحتاج الى يد تعليهِ كل آونة فاذا علا اندفع لسان من اللهب يهدد الزجاجة بالكسر والسقف « بالهباب »

في تلك الليلة كان امين يرتدي جلباباً خفيفاً ابيض وكان وجههُ شاحباً قلقاً وكان يفتح كتاباً ثم يغلقهُ ويضع نظارتهُ على عينهِ ثم يخلعها ويجلس على كرسيهِ قبل المائدة ثم يتركه ليجلس على حافة السرير ثم يترك حافة السرير ليجلس على الكرسي الطويل . واذ هو في ذلك القلق الغريب دق الباب دقًّا خفيفاً فوثب مرتجفاً واسرع اليهِ وما لبث ان صاح هامساً

— سنيه — (بهمس وخوف) ابوه واقفل الباب عليهما في حرص وسرعة

وكان المصباح الملعون قد عاد نوره الى الانخفاض واصبحت الغرفة في شبه من الظلمة وتراءت ظلال كثيرة على الحائط جعلت الغرفة كالمعبد المرهوب، وفي وسطه عابدان لا يتكلمان وانما تقول الظلمة ، وشعاع القمر الداخل من النافذة كالنعس ؛ انهما لبثا متعانقين ؛ كالموجتين وجلبابها في البياض كزغوة الزبد . تخلصت سنية بلطف ، ووقفت بعيداً ، وكان قوامها المعشوق ينتفض وشعرها المتهدل الجميل قد قارب وجهها فأزاحته بيدها البضة الناعمة ، ومضت الى الكرسي الطويل متهالكة وجلس امين على السجادة مسنداً رأسه الى ركبتيها ، وصار يتكلمان هما

— كم سنة ياسنيه والله ما نسيتك لحظة . شوفي افتقرنا وجينا في حارة في شارع محمد علي

فسحت سنيه دمعة حارة ولم تجب ، فمضى قائلاً

— ودخلت التعليم العالي مجاناً بواسطة ، وعلى ان اشتغل وانجح بسرعة ، والا ماذا يصنع ابي المسكين ؟ فلم تجب سنيه ، وامسكت برأسه ، وجعلت وجهه اليها تطيل التحديق فيه ثم قالت حزينة

— حالكم احسن من حالنا بكثير ، ابي مات ولم يترك لنا شيئاً تقريباً وصارت الحال تمشي من سيء الى اسوأ حتى جئنا ايضاً الى الحارة نفسها في شارع محمد علي . فذرف بدوره دمعة ولم يجب واستمر الصمت واخذت الثلاثة في المصباح الملعون تنذر بظلمة كاملة واذا بعواء قطتين ذكر وانثى بالطبع يتعابثان في ضوء القمر ويسران الطبيعة بتحقيق احلامها فضحكت سنية وامين معاً . همست « دي قطنا وقطتكم » ثم زمت شفتيها في خفة معبودة وقالت الا تذكر يا امين احلامك في شبرا وامانيك ان تتعاب في ضوء القمر ، لقد انعمت الدنيا بأمانيك على قطتينا اجاب ! معلهش ياسنيه ادي احنا اتقابلنا ، وما دمت اراك فسأشتغل وأنجح ، ولا يلبث هذا الضنك ان يزول ، فصاحت فجأة كأنما رأت الضنك قد زال حقيقة

— وبعد ان يزول الضنك

— نتزوج

— وبعد ذلك

— يكون لنا اولاد

— وبعد ذلك

— نكون قد اقتصدنا مالا كافياً فنبني منزلاً خاصًّا

— وابي وابوك وامك

— يكونون قد تقدموا في العمر فنسعد مشيبهم ونجعله كله رخاء

— وحبنا

— يزيد على السنين و ينميه من ناحيتنا اخلاصي واخلاصك وتسامحك وتسامحي

ثم همت ان تاتي سؤالاً جديداً ولكن غمامة عبرت فكرها فجأة ولاحت لها صورة لا تحبها فادرك ذلك امين فسألها فامتنعت عن الاجابة فألح فقالت

« واذا تعرض لنا زكي ابن خالتي »

فانتفض امين وتغيرت ملامحه وتركت رأسه ركبتيها ودار بعينه في الظلمة يبحث عن زكي ابن خالة سنيه زكي الثقيل بجسمه الضخم وسوالفه الكريهة وعينه الزجاجية وغناه الفاحش واللباقة التي يمضغها دائماً ..... دائماً

تغير الفتى الوديع عند مرور تلك الصورة البشعة ، وقال اقتلهُ والويل ثلث اذا فكرت في ان تميلي اليهِ قالت « اميل اليه ! انت تهينني واذا ذكرت هذا ثانياً اخرج ولا اعود ابداً »

فاستعطفها وعاد يسند رأسه الى ركبتها

وطردا تلك الصورة الكريهة ، وعادا يكملان مدينة الاحلام ، واوشك الفجر ان يطلع على تلك المدينة التي جلسا يبنيانها معاً فوقف امين فجأة ، قائلاً

— سنيه

— نعم

— شايفه الفجر اللي قرّب يطلع

— ايوه شايفاه

— احلفي انك لي وحدي

— احلف

— هاتي فمك

— فمدت اليهِ شفة سحرية رطبة كالشليك الندي ثم انسلت الى غرفتها ، وهي تنزل البلم في بطء وحذر

* * *

وعاد ذلك اللقاء يتكرر ومدينة الاحلام تبنى مع الليل وتتبخر مع الفجر ، وامين يدأب ويرى امانيه تدنو ، حتى كان ذات صباح خارجاً بكتبه الى مدرسته فرأى زكي ابن خالة سنيه جالساً الى مائدة في قهوة المعلم سلام فعجب من تلك الجلسة المبكرة ، وكان شجاعاً ، يفضل مواجهة الامور ، فمضى الى غريمه توًّا

صباح الخير يا سي زكي ايه اللي جابك الصبح بدري كده

— فاعتدل سي زكي في كرسيه ، بكبرياء وقحة وادار اللباقة في فمه القبيح ، وقال بلهجة ساخرة ، علشان ازور قراينا جيرانكم ، وصفق على الصبي ثم مد يده الى جيبه يرن النقود ويؤكد لامين من جديد انهُ غني وانهُ بهذا الغنى سيملك ابنة جيرانه . قال امين

— ولكن الزيارة تبقى بدري كده

— ده مش شغلك

— فثار الدم في وجه امين ، ولم يدر بالضبط ماذا حدث ، غير انه وجد القهوة ممتلئة بالناس ، ووجد مي زكي في وسطها والدم يسيل من انفه ، وهو يسب ويلعن ، ورأسه نار وسوالفه القبيحة ملوثة بالدم . والحقيقة ان امين ، من دون ان يدري ما هو صانع ، تناول كرسيًا فهرب مي زكي الى داخل القهوة فطار الكرسي وراءه ، وتبعهُ آخر بنفس السرعة ، فأصابتهُ رجله في انفه ، فلما رأى الدم هاجهُ ذلك كثيران الصراع في اسبانيا ، ووثب بجسمه الضخم على غريمه ، ولكن المعلم سلامكان قد جاء ، وجاء ناس آخرون فحالوا بينهما ، وتهدد زكي وتوعد ، وقال « بكره تشوف » وجمع امين كتبه في كبرياء واناقة ، وانصرف بدون ان يردّ

* * *

قالت سنيه لامين في غرفته بعد ايام — اما علقه اللي أكلها زكي . تعرف انه دخل عندنا بعدها ، وابي اكرمته وطيبت خاطره ومسحت له جرحه ووضعت له صبغة يود . ابي المسكينة تراه غنيًا ، وتلاطفه لعله يتزوجني ، وهو يدخل بيتنا ويتقرب الينا لهذا الغرض ، امس جاء عندنا وقال لابي ان الحكيم قال له ان عظمة انفه من فوق انكسرت وستترك عاهة مستديمة ، لان انفه تنخسف من اعلى وسيرفع قضية فضحك امين وقال لتزيد شكله قبحاً . اما القضية فليرفعها عليَّ في اوربا . فسألت مدهوشة اوربا كيف ؟

قال اني نجحت في الامتحان الاخير كما تعلمين وسأسافر في بعثة ان شاء الله بعد اسبوع فضربت صدرها بيدها قائلة اتتركنا قال نعم — لكي اختبر القسم الذي اقسمته والفجر موشك الطلوع قالت وهي تجهش بالبكاء كن مطمئناً . واعتنقا وطال عناقهما ثم انسلت الى غرفتها وهي تنزل السلم في بطء وحذر

— ٤ —

لندن في ٧ ابريل سنة ١٩٢٨

حبيبتي سنيه — جلست وحدي في غرفتي قرب المدفأة اقرأ خطاباتك الجميلة خطاباتك التي ملأت حياتي املاً وأنستني غربتي وجعلتني رجلاً . لقد كان خيالك الجميل واقسامنا كل ما أوشك الفجر ان يطلع ومدينة الاحلام التي شيدناها معاً كل تلك الصور كانت لا تبارح ناظري . نعم مرت سنون جهاد عنيف ولكني لم أكن اعبأ بها ولا ابالي بتتابعها ما دمت في انتظاري وما دام املك وابي وامي بخير

آه يا سنيه ان لندن بحالها ، لندن العظيمة الضخمة لا تساوي ركناً من مدينة الاحلام وعلى

ذكر هاته المدينة السحرية اني اراك الآن في ركن منها يغمره القمر وتنام الزهور آمنة نعم اراك الى جانبي وامضي في تقبيلك بلا حساب حبيبك امين

القاهرة في ٢٥ مايو سنة ١٩٢٨

حبيبي امين : تسلمت خطابك وسرني أن اسمع انك في صحة جيدة اما نحن فقد ضاقت بنا الحال . شكراً للنقود التي ترسلها الينا مما تقتصده وانا نعلم ما يكلفك هذا من التقتير على نفسك وانت في بلاد غريبة . نعم ضاقت بنا الحال يا امين وتركنا جيرتكم الهنيئة ورحلنا الى منزل اقل ايجاراً وقبل ان نتنقل اليه صعدت في الليل الى معبدنا المقدس ووقفت عند باب غرفتك استعيد الماضي الجميل ومدينة الاحلام فمتى تعود لنتم بناءها — متى . .

حبيبتك سنيه

ملحوظة — اكتب اليّ على شباك بوستة الفجالة

لندن في ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٨

حبيبتي سنية : اكتب اليك والفرح يملك عليّ مشاعري واني لواثق ان الخبر الذي سأقصه عليك سيجعلك ترقصين من السرور. لقد نجحت واقبل عليّ عميد الكلية يهنئني فقدجاء اسمي في قائمة الشرف

انا عائد يا سنية عائد بعد مضي اربع سنوات لا اعلم كيف صبرت على قضائها بعيداً عنكم انوي البر والبحر بالفكر اليك واقبلك طويلاً حبيبك امين

٢ اكتوبر سنة ١٩٢٨

حبيبي امين — تسلمت خطابك الاخير من بوستة الفجالة وقرأته كثيراً وقبلته مراراً دامعة العين شديدة الشوق اليك . الدنيا فراغ شنيع بغيرك والايام لا معنى لها

عد للتي تحبك وتنتظرك سنيه

ملحوظة — اعذر اختصاري هذه المرة فاني لشدة الفرح بك لا ادري ماذا اكتب

***

في يوم ممطر كانت باخرة تقترب الى الشاطىء في ميناء الاسكندرية ووقف المنتظرون يترقبون العائدين ويلوحون بمناديلهم واقتربت الباخرة ببطء ثم وضع السلم وصعد ضابط الميناء ورجاله ثم سمح للركاب بالنزول فاسرع من بينهم شاب نعرفه يلبس قبعة ويحمل نظارة نزل السلم بسرعة وتلفت هنا وهناك فناداه الشخص الوحيد الذي ينتظره

— امين

— ابي .

وكان عناق رائع حار ودموع

وبعد ان تم تفتيش الحقائب اقلتهما عربة الى القطار المسافر الى القاهرة وفي القطار علم امين ان امهُ مريضة بالروماتزم :

— مش قادره يابني وانا كان الربو تاعبني قوي ومنذ اسبوعين كان عندي ورم في الرجلين والحكيم امر لي بالراحة ومنعني من اللحوم والملح وكان جيران عائلة شكري بك يواسوننا ولكن الحالة ضاقت بهم فنزلوا الى منزل اقل ايجاراً

فخفق قلب امين واحس به يثقل وينحدر في صدره

— وزاروها مرتين بعدها والشقة والله فاضية لغاية ذلوقتي

وانتقل الحديث الى اشياء اخرى وبلغا القاهرة ثم المنزل ووجد امين الدور الارضي خالياً فأحس بفراغ كفراغ المقابر وكانت والدتهُ في فراشها وقد اقعدها المرض وشحب لونها ولكن الأمل في لقاء ابنها جعل لعينيها بريقاً غريباً من الحياة وكأن قوة غير عادية وثبت فيها وهي تنتظره ثم وهي تضمهُ ثم وهي تبكي . . . .

واما غرفتهُ في السطح فلم يجدّ عليها شيء ولكنهُ حين فتحها هبَّ منها عبق الذكرى والقسم الغابر والمدينة السحرية

في صباح اليوم التالي اخذ يبحث ويسأل عن منزل شكري بك الجديد فلم يهتد وذهب الى بوستة الفجالة وكان قد ارسل اليها خطاباً كعادتهِ قديماً فلم يأت احد لتسلمهِ ولم يعلم من امرهم غير ان الثلاثة الحت عليهم وهنا انقطع خيط البحث

ذات صباح كان بمديرية الجيزة لامر يخصهُ فر بحديقة الحيوانات وخطر له ان يدخل . جلس على مقعد تجاه القرود خلف شجرة تواريهِ بعض الشيء

فرت سيدة بادنة « تلاتة لف » ومعها طفلان وخلفهما رجل وكان الرجل ضخماً طويلاً وله سوالف كريهة وفي فمهِ لبانة

فذعر واحس بيد تقبض على حلقهِ وتنشب اظافرها فيهِ وهمَّ ان يصيح فلم يستطع وان يقوم فلم يقدر . سنية الجميلة الرشيقة تلبس ملايه لف وتصبح بادنة ويصير وجهها عادياً خشناً وتتزوج بمن ؟ بالشخص البغيض الكريه الذي خسف انفهُ بالكرسي من اجلها . همَّ ان يقوم ثانياً وان يحتج فوقف بينهُ وبينهم شبح يصرخ في وجههِ قف فانا الذي اذللت هذه المرأة ومازلت اطحنها وامشي بها من حاجة الى حاجة حتى تزوجت غريمك . . . . والخطابات . . . انها خدعتك لصالحك . . . . الا تعرفني فصاح امين اجل اعرفك ايها الفقر وهذه آثار اظافرك في عنقي

وطأطأ رأسهُ وقد غفر للحبيبة المسكينة بينما الموكب العائلي يسير . ثم ثارت عاصفة من الغبار حجبت عن عينهِ الى الأبد مدينة الاحلام